٢ ــ القانون البشرى

تعريفه . الغرض منه . أنواع القوانين . الفرق بينها .
هل يصلح القانون أن يكون مقياساً أخلاقياً ؟

الحياة فى هذه الدنيا رواية : رواية ، فيها غدر ، وفيها خيانة ، وفيها خير ، وفيها شر ، وفيها جمال ، وفيها قبح ، وهذه المعانى كلها يولدها ، أو يوجدها ما بين الناس من علاقة وارتباط ، أو ما ركب فى طباعهم من شهوات وأهواء ، ولو ترك الناس فى هذه الدنيا هملا من غير ضابط يضبطهم ، أو زاجر يزجرهم ، لأكل بعضهم بعضا « كالذيب يأكل عند الغرَّة الذيبا » .

لذلك جاءت الأديان تنظم هذه العلاقات ، غير أنه لما كان الجزاء الدينى ــ أغلبه ــ كما ترى جزاء « أخرويا » والناس لا يخافون إلا « بأعينهم » جاء القانون البشرى ، أو جاء القانون الوضعى يلزم الناس على أن يقف كل عند حده وإلا نزل به « فوراً » ما لا تحمد عقباه « ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

فالقانون : هو « مجموعة القواعد التى تنظم العلاقات الاجتماعية ، والتى يلتزم الأفراد باتباعها خشية توقيع الجزاء المقرر على مخالفتهم إياها » .

والقانون يتميز عن غيره من قواعد « السلوك » بعنصر « الجزاء » فقواعد العرف ، والدين ، والأخلاق ، كل ذلك يخرج من دائرة القانون

لأنها تفقد عنصر « الجزاء » .

نعم : هناك جزاء اجتماعي وهو : « احتقار الناس وازدراؤهم » لمن يخرج على قواعد « العرف » أو على قواعد « الدين » أو « الأخلاق » إلا أن السلطة الملزمة فى القانون غير السلطة الملزمة فى تلك القواعد التى تحكم سلوك الناس ، ولأن « جزاء » القانون جزاء مادى تشرف على تنفيذه سلطة خاصة لا تنى عنه ، أو الأصل فيها ذلك .

والغرض من القانون « الوضعى » هو توزيع الحقوق والواجبات بين الأفراد :

أما الحقوق فهى بذاتها مزايا للمتمتع بها ، أو هى مصالح يحميها القانون.

وأما الواجبات فهى بعكس ذلك أثقال على المكلف بأدائها ، أو هى عبء يفرضه القانون ، أو المجتمع ، أو الدين .

والحق والواجب متلازمان : فأنت لا تستطيع أن تمنح زيداً من الناس حقاً من الحقوق إلا إذا قضيت على غيره بواجب من الواجبات . فإذا مَلَّكَكَ المُقَنِّن قطعة أرض مثلا كان عليه إتماماً لذلك أن يُلزم غيرك بألا يقربها . وإذا أولاك رياسة كان عليه أن يُلزم غيرك بالاذعان لهذه الرياسة ، وهكذا . لذلك لا تنتظر من المجتمع أن يعطيك حقك إلا إذا قمت بالواجب عليك وإذا أعطى مجتمع حقاً لشخص لا يؤدى واجباً فهو مجتمع « غافل »

وليس الغرض من القانون هو مجرد أن يمنح الحقوق ، ويقرر الواجبات « مدونة » وحسب ، بل الغرض من القانون هو أن يضمن بالفعل لمن يستظلون بظله : الحرية . والأمن . والقوت. فإذا كفل القانون ، أو كفل المشرفون على تنفيذ القانون تحقيق هذا للمواطنين فقد أدى القانون مهمته ، وإلا فلا.

وهذا القانون « الوضعى » أو « المدنى » أو « البشرى » سمه كيف شئت

لا يصلح أن يكون مقياساً أخلاقياً لأنه يختلف باختلاف الزمان والمكان فلكل أمة قانونها كما أن لكل أمة عرفها . والمقياس الأخلاقى لابد أن يكون عاماً ثابتاً . وليس معنى الثبات « الجمود » بل معناه أن « المنبع » الأصيل له ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان وإن تغيرت الفروع . والقانون أنواع :

١ — قانون طبيعى .

٢ — قانون دينى .

٣ — قانون وضعى .

٤ — قانون أخلاقى .

أما القانون « الطبيعى » فهو عبارة عن : « قواعد فرضتها الطبيعة » مثلا : تفرض الطبيعه على الحديد أن يتمدد بالحرارة . وتفرض الطبيعة على « التفاحة » حينما تنفصل من الشجرة أن تسقط إلى أسفل ، ولا ترتفع إلى أعلى . وتفرض على كل شىء ذى ثقل مخصوص أن يغطس فى الماء . ولا يطفو على سطحه . وهكذا ...

وهذا القانون الطبيعى قانون عام ثابت صالح لكل زمان ومكان : فالحديد يتمدد بالحرارة فى كل زمان ومكان ، والتفاحة تسقط إلى أسفل فى كل زمان ومكان وكل شىء ذى ثقل مخصوص يغطس فى الماء ولا يطفو على سطحه فى كل زمان ، وفى كل مكان .

وأما القانون « الدينى » فقد يكون من الحسن قبل أن نعرفه أن نذكر كلمة عن الدين بوجه عام .

الدين على وجه عام أقدم نظام عرفه الانسان . وأصله يختلف بوجهة

نظر الذين يدرسونه : فعلماء « النفس » ينظرون إليه من زاوية . وعلماء « الاجتماع » ينظرون إليه من زاوية . وعلماء الدين ينظرون إليه من زاوية على ضوء الكتب المنزلة .

أما الذين يدرسونه من الناحية النفسية فيرون أن جرثومته فى الإدراك المغروز فى فطرة الانسان للعلية والمعلولية بين الأشياء ، أو فى شعور الإنسان بأنه تابع لغيره وليس مستقلا . وهناك من يرده إلى ما باق فى روع الإنسان بالفطرة من وجود لا يتناهى إلى آخر ما يراه من ينظر إليه من هذه الزاية . وأهم عامل على خلق العقيدة الدينية هو « الخوف » من الموت

وأما علماء الاجتماع فيرون أنه ظاهرة اجتماعية : يعنى لولا الجماعة وشئون الجماعة ما كان هناك دين . فهو نظام اجتماعى أوجده الاجتماع للناس ، أو لطائفة من الناس يؤلف بينها إيمان ، وتجمع بينها شعائر موقوتة ، وعواطف ، وعقائد . وأعمال يحترمونها فى خشوع ، ويقدسونها لأنها دين . ومصدر الدين فى الأصل الخوف ، والدهشة ، والأحلام .

والدين فى نظر الكتاب المنزل أصله وحى من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ، ويرسلهم أئمة يهدون بأمره ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ، وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ

عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا » (سورة النساء ١٦٣ و١٦٤) .

والقرآن الكريم يقرر أن الأديان السماوية كلها أصلها واحد على لسان جميع الأنبياء ، وهو الإيمان بما يجب الإيمان به وإنما الاختلاف فقط يكون فى الشرائع أى فى الأحكام العملية ولذلك يشير القرآن الكريم أيضاً فى قوله : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ » (الشورى ١٣)

أما أن الاختلاف فى الشرائع فيشير إليها قوله تعالى : « لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » (سورة المائدة آية ٤٨) .

مثلا : الأديان كلها فيها « صلاة » إلا أن الصلاة فى « التوراة » غيرها فى الإنجيل ، وغيرها فى القرآن .

والأديان فيها كلها « صوم » إلا أن شريعة القرآن الكريم تختلف فيه عن شريعة الإنجيل وعن التوراة .

والأديان فيها كلها يوم معلوم يتقرب فيه إلى الله بالطاعات والدعاء إلا أنه « السبت » عند « اليهود » و « الأحد » عند « المسيحيين » و « الجمعة » عند « المسلمين » .

وهكذا تتفق الأديان كلها فى الأصل وتختلف فى السبل الموصلة فتُجمع على أنواع « البر » من « الطهارة » و « الصلاة » و « الزكاة » و « الصيام » و « الحج » والتقرب إلى الله بالدعاء وتلاوة الكتاب المنزل من الله ، وغير

ذلك من تحريم المظالم والجهاد مع أعداء الحق . ولكنها تختلف فقط فى « السبيل » . فكل له صلاته ، وكل له زكاته ، وكل له حجه ...

والقانون « الدينى » هو قواعد فرضها المشرع الأعظم الله جلت قدرته وجاءت بوحى إلهى يصدر إلى من اختصهم الله لرسالته « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ » (سورة المائدة ٦٧) .

وهذا القانون « الدينى » ساد ويسود شعوباً كثيرة ما بين شرقية وغربية إلا أن الشعوب الأخيرة سبقت الأولى فى فصل القاعدة القانونية عن الدين والأخلاق .

والقانون « الوضعى » — كما قلنا فيما تقدم — هو « مجموعة القواعد التى تنظم الحياة الاجتماعية والتى يلزم الأفراد باتباعها خشية توقيع الجزاء المقرر على مخالفتهم إياها . »

وهذا القانون يشرعه وينفذه الانسان . وهو إنما يحاول به منع الفعل السيء ، أما تنشيط الأعمال الصالحة ، أو المكافأة عليها فيضطر إلى تنفيذها بقوة القانون فى الأمم التى لم ينضج فيها الضمير بعد .

أذكر مرة أنى زرت « قرية » من قرى ريف « مصر » فى مديرية « الشرقية » يمتلكها « أمير » سابق ، أو يمتلك فيها ثلاثة آلاف فدان من أجود الأطيان تدر عليه « الذهب » وتغدق عليه النعمة . وكان المفروض فى مثل هذا « الأمير » أن يجعل هذه القرية ، قرية نموذجية ؛ فيها « المدرسة » وفيها « المستشفى » وفيها « السينما » وفيها الساحة الشعبية لتدريب أولاد من يفلحون

له الأرض على مختلف الألعاب الرياضية . وفيها المركز « الاجتماعى » و « الصحى » إلى آخر مايلزم للقرية النموذجية من مؤسسات . ولكن ملكتنى الدهشة عندما رأيت طرقاتها ملتوية تلوى الثعبان، وبيوتها، أو بعبارة أصح أكواخها ضيقة لاتعرف النور وهى فى بلاد النور ، ولا الشمس وهى فى بلاد الشمس ، ولا النظافة وهى فى بلاد النيل .

تدخلها فيهجم عليك جيش من الذباب يطن كأنه يشكو اليك أمر هؤلاء « المساكين » مع هذا « الأمير » وتمشى فى أنحائها فتهب عليك رائحة المزابل ، ويكويك بناره « ناموس » « البرك » و « المستنقعات » وترى أحيانا « صفا » من بنى « آدم » يجلسون فى خمول وجمود . بعضهم يغط فى نومه ، وبعضهم « يفلى » مرقعته ، وبعضهم فى إطراق عميق . أجسامهم نحيلة ، ووجوههم شاحبة وثيابهم مهلهلة ، وأقدامهم عارية ، ومع ذلك يراك الواحد منهم فيرحب بك بفطرته ترحيباً لا يوقفه عن المضى فيه مادمت معه إلا حين تدهمه نوبة شديدة من سعال يكاد يستوطن قرية هذا « الأمير » .

رأيت هذه القرية على هذه الحال فناديت بوجوب إلزام أمثال هؤلاء «الملاك» بأن يجعلوا قراهم «نموذجية» بقوة القانون .أو بعبارة أخرى ناديت بأن يتدخل القانون لتنشيط بعض الأعمال الصالحة ، كما يتدخل لمنع الفعل السيء . ولكن « السياسة العليا » يومئذ كانت لاتريد . فنفذ فيها قول رسول الله صلوات الله عليه : « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » .

وقد يكون من الحسن فى هذا المقام ، وبهذه المناسبة أن آتى ببعض قواعد من القانون عند قدماء المصريين ، فنها ترى مقدار وعى الشعب فى

ذلك الوقت . وانى أختار هذه المواد الثلاث الآتية كزاوية ننظر منها :

١ — يُحَلَّف الملك القضاة أن لا يطيعوه إذا أمرهم بظلم .

٢ — من كان سيره سيرجور يحكم عليه بألا تدفن جثته .

والمهم فى هذه القاعدة أن الملك بعد الموت يكون كآحاد الناس يشهر حاله ويحكم عليه بمقتضاها ، والذى ينطق عليه بصيغة الحكم هو « الشعب » .

وانظر إلى قدماء المصريين يقررون قاعدة من « أين لك هذا » .

٣ — يلزم فى كل سنة سؤال كل إنسان عن معيشته من أين اكتسبها ، ومن ظهر أنه تعيش على خلاف اللائق الجائز يعاقب بالموت . (١)

فهل رأيت قانونا يقطع « البطالة » و « الغش » كهذا القانون ؟ ! !

وكانت مذاكرة المصالح والقضايا عندهم بالكتابة خوفا من فصاحة اللسان فانها تستر الحق (٢) وصدق رسول الله : « إن من البيان لسحرا » .

ولا ننكر أنهم فى تأثرهم بعقائدهم قد « ألهوا » بعض الآدميين ، وعبدوا بعض حيوانات لا تنطق ، وكانت لهم بعض خصال نازله مما يدل على أن الشعوب يصيبها « أعراض » كالأفراد .

أما القانون « الأخلاقى » فهو « قواعد « السلوك » التى يحس الإنسان بانه ملزم بالعمل عليها » وهذه القواعد تشرعها وتنفذها سلطة باطنية هى « الضمير » أو الوجدان .

وهو قانون غير متغير وإن أمكن أن يخالف اختيارا ، وليس معنى كونه غير متغير — كما قلنا — أنه « جامد » أى غير خاضع لقانون « النشوء

---

(١) بداية القدماء ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) المصدر السابق .

والارتقاء » — كلا — ليس هذا معناه ، وإنما يعنون بأنه غير متغير أن أصله ثابت وإن تغيرت فروعه . وأن الانسان بفطرته يستطيع أن يميز بين الفضيلة والرذيلة فى كل زمان ومكان، وأن ذلك يسرى على الناس جميعهم فى كل زمان، وفى كل ظرف وحال ، وأنه حتمى ليس له استثناء . ولذلك ينعت « كانت » القانون الأخلاقى بأنه « إلزامى حتمى أى أنه قطعى ، أو أمر ليس له استثناء »[1]

والحد الفاصل بين القانون الأخلاقى ، والقانون البشرى أنهما كما يقول « بتنام » يختلفان فى عموم الموضوع وخصوصه ، فالأعمال كلها عمومية أو خصوصية تدخل فى دائرة علم الأخلاق ، فهو مرشد يأخذ بيد المرء فى جميع أحوال الحياة وكافة علاقاته مع غيره ، وليس هذا من الممكنات فى علم القوانين ، ولئن كان ممكنا وجب التحرز منه لأنه لا يجب أن يكون للقانون سلطة مستمرة فى سير الأفراد الشخصى ، فعلم الأخلاق يقضى على الإنسان بفعل كل ما فيه منفعة الأمة ومنفعته الشخصية ، لكن كثير من الأعمال النافعة للأمة لا تأمر بها القوانين ، بل هناك أعمال مضرة لا يجب على علم القوانين منعها ، وإن حظرتها الأخلاق . وبالجملة فإن مركز العلمين واحد لكن محيط أحدهما أكبر من محيط الآخر، والسبب فى هذا الاختلاف بين العلمين أمران :

الأول : إن علم القوانين لا يمكن أن يؤثر مباشرة على سير الأفراد الشخصى إلا بالعقوبة ، والعقوبة ضرر لا يجوز الحكم به إلا إذا أنتج من إيقاعه خير أكبر منه ، وإذا نظرنا إلى كثير من الأحوال الشخصية رأينا

---

(١) أصول الأخلاق للاستاذ . مى . دني . تعريب الأستاذ ابراهيم رمزي .

أن العقوبة عليها تنتج ضرراً أكبر من ضرر الفعل الذى حكم من أجله على مرتكبه لأن تنفيذ القانون فى مثل هذه الحال يستلزم استعمال وسائل من شأنها إزعاج الخواطر ، وإيقاع الرعب فى الأفكار ، وهو ضرر أشد مما جاء به القانون لاجتنابه .

الثانى : أن علم القوانين محفوف دائماً بالخوف من إصابة برىء حال كون المراد معاقبة الجانى ، وهو فى الأحوال الشخصية يصل إلى درجة الخطر ، ومنشأ هذا الخطر ما يوجد من الصعوبة فى تعريف الجرائم النفسية وتوضيحها والوقوف على كنهها .

مثلا : « كفران النعمة » و « المواربة » وما شابهها من القبائح مرذولة عند الناس لكن لا تقع تحت سلطة القانون لتعذر الوقوف عليها تماما كا « السرقة » و « القتل » و « شهادة الزور » وغير ذلك [1] .

والخلاصة فى الفرق بين القانون المدنى والأخلاقى هى :

١ — القانون المدنى فرضى قابل للتغير ، والأخلاقى حتمى غير قابل للتغيير .

٢ — المدنى قد يكون فاسداً ، والأخلاقى بطبيعته لا يمكن أن يكون كذلك .

٣ — المدنى لا يُعنى إلا بالأفعال ، أما الأخلاقى فيعنى بالأفعال وبواعثها

٤ — المدنى تشرعه وتنفذه سلطة خارجة كالحكومة . ولكن القانون الأخلاقى تشرعه وتنفذه سلطة باطنية هى الضمير أو الوجدان .

٥ — المدنى لا يتطلب من الفرد إلا أن يراعى الواجبات التى هى ضرورية لاستمرار الحياة الاجتماعية . ولكن القانون الأخلاقى يتطلب

---

(١) أصول الشرائع والقوانين ج ١ ص ٥٨ ترجمة المرحوم «أحمد فتحى زغلول»

من الفرد أن يكون من الصلاح على مايستطيع ، أى أن يعيش به على أرقى مثل فى الحياة [1]. والاثنان يتفقان فى أن المجتمع يستحيل قيامه بغير نظام

بقى علينا أن نتساءل ، وقد عرفنا الفرق بين القانون المدنى ، أو البشرى ، أو الوضعى ، سمه كيف شئت ، وبين القانون الأخلاقى بقى أن نتساءل : هل هناك حاجة إلى البحث الخلقى مع وجود القانون الإلهى ؟ .

ولماذا لا نكتفى بأن ندرس « ضوابط » السلوك الإنسانى التى أتى الدين بدل أن نغرق فى هذه الأبحاث الخلقية الطويلة العريضة المضنية ؟ .

أوليس فى محاولة « اقتراح » ضوابط نقيس بها سلوك الناس مع وجود « ضوابط » الدين اعتراف ضمنى بأن ما أتى به الدين من قواعد لتنظيم « السلوك » غير كاف لأن يوجد جماعة فاضلة بالفعل ؟ .

وأخيراً ، ما هو الفرق بين القانون الإلهى والقانون الخلقى ؟

قبل أن نجاوب على هذه الأسئلة نشير إلى أنا لم نشر إلى ما بين القانون الطبيعى وبين غيره من أنواع القوانين الأخرى من فروق . لأن هذا القانون — الطبيعى — لا تتعلق به إرادة الإنسان فهو ليس من موضوع بحثنا فى شىء ، فأنت لا تستطيع أن تمنع الحديد من أن يتمدد بالحرارة . وأنت لا تستطيع أن تجعل « التفاحة » حينما تنفصل من الشجرة ترتفع إلى أعلى بدل أن تسقط إلى أسفل . وكذلك لا تستطيع أن تجعل الشىء ذا الثقل المخصوص يطفو على سطح الماء بدل أن يغطس إلى القاع . أو على الأقل نحن حتى الساعة لا نستطيع ذلك ومن يدرى لعل الإنسان

---

(١) أصول الاخلاق ص ٤٨ ، ٤٩

الذى اخترع القنبلة « الذرية » ثم القنبلة « الهيدروجينية » لعله فى المستقبل يستطيع أن يمنع الحديد من أن يتمدد بالحرارة ، وأن يمنع خلق الله من أن تأكل هذه « الثمار » فيجعلها تطير فى السماء حتى لا تسقط على أرض يسكنها إنسان .

ومرة ثانية نتساءل : هل الغرض من القانون الإلهى هو الغرض من القانون الأخلاقى ؟ .

نعم ، الغرض واحد وهو إيجاد مجموعة من المشاعر ، والأمانى ، والأفكار تؤثر فى العلائق المشتركة بين الناس تأثيراً يوجههم إلى حياة فاضلة بالفعل ، فالقانون الدينى يهدف إلى هذا الغرض ، والقانون الأخلاقى يهدف إلى هذا الغرض ، وإن كان بينهما من فروق فمن جهات أخرى : فالقانون الدينى واضعه المشرع الأعظم الله جلت قدرته ، والقانون الأخلاقى تشرعه سلطة باطنية هى « الضمير » أو الوجدان .

وهناك فرق آخر من ناحية الجزاء : فالجزاء فى القانون « الدينى » يأتى فى « اليوم الآخر . وفى الأخلاق فى الدنيا من تأنيب « الضمير » وإن كان هذا لا يمنع من أن يلقى المخالف للقانون الدينى جزاءه فى هذه الدنيا أيضاً .

والخلاصة : أن الغرض الذى يهدف إليه قانون الأخلاق هو عين الغرض الذى يهدف إليه الدين وهو « السلام » والخلاف بينهما إنما يأتى من ناحيتين اثنتين : ناحية المُشَرِّع ، وناحية الجزاء .

والقانون الأخلاقى أعم من القانون الدينى على معنى أن الناس لم يجمعوا على دين واحد يعمهم أجمعين ، بل يدينون بأديان مختلفة ، وهناك من الناس من

لا دين له فى الوقت الذى يُعترف فيه من الجميع بقانون الأخلاق ، ويعمل الجميع فيه بقانون الأخلاق .

* * *

وبعد : فهل هناك حاجة إلى البحث الخلقى مع وجود القانون الإلهى ؟

أولا : ننبه إلى أن الدين «السماوى» جاء ديناً عاماً يخاطب الناس أجمعين « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ »(سورة سبأ آية ٢٨) .

ولكن واقع الأمر أن الناس لا يتبعونه أجمعين . بل يتبعون أكثر من دين ، وأن منهم من لا دين له إن صح أن بعض الناس لا دين له .

ثانياً : أولا ترى مثلا كيف : اصطلح « الضمير » الإنسانى أخيراً على تحريم الرق ؟

إنه قد جعل لكل إنسان كياناً سياسياً واجتماعياً واحداً ، وإن حُرم أحد من هذا الكيان فليس لأنه « عبد » ولم يعد المجتمع يتألف بوجه عام من طبقة « الأحرار » وطبقة « العبيد » كما كنا نرى من قبل .

إن النظام الاجتماعى فى اليهودية يوم جاء لم يحرم الرق مع أنه أشار إليه . فالوصية العاشرة من وصايا «التوراه» تقول: «لا تشته بيت قريبك ، ولا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ، ولا أمته » « سفر الخروج الاصحاح العشرون » .

والمسيحية كذلك لم تنكر الرق يوم جاءت تأمر العبيد أن يحسبوا حساب سادتهم ، فرسالة بولس الرسول الأولى إلى « تيمو ثاوس» تقول : « جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفترى

على اسم الله وتعليمه ، الاصحاح السادس الفقرة الأولى » .

والإسلام لم ينكر الرق فى أسرى الحرب فالآية الثانية والثلاثون من سورة النور تقول : « وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ » . وغيرها كثير فى هذا الباب.

وسواء أكان اعتراف الأديان ، أوبعضها به إلى حين ، أم إلى غير حين ، أم جاء هذا الاعتراف تنظيما لحال واقعة فالمهم أنها لم تأت بالغائة إلغاء مطلقاً.

على مثل هذا قلنا : إن القانون الأخلاقى أعم من القانون الدينى . وعلى مثل هذا نقول : إنا فى حاجة إلى البحث الخلقى مع وجود القانون الإلهى

ولما كان البحث الخلقى يُعنى بتعليل الخير والشر ، ويعنى بتعليل وجهات النظر فى المقياس الأخلاقى ، ويعنى ببيان المستوى الذى عنده ينبغى أن يقف ميزان الأعمال وما إلى ذلك كانت هناك حاجة إلى البحث الخلقى مع وجود القانون الالهى لأنه لم يعن بهذا كما يعنى البحث الخلقى .

نعم ليست هناك من حاجة إلى القانون الأخلاقى مع وجود القانون الإلهى عند من يدين به .

لكن : لم يجمع الناس بعد على دين واحد . بل ولا حتى على عبادة الخالق سبحانه وتعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده .

نعود فنقول إذا كان القانون البشرى لا يصلح أن يكون مقياساً للأخلاق لأنه يختلف باختلاف الزمان والمكان ، والعرف كذلك لا يصلح مقياساً للأخلاق لأنه يختلف هو الآخر باختلاف الأمم ، بل باختلاف الطوائف فى الأمة الواحدة ، فمن باب أولى «الرأى والشخصى» لا يصلح مقياساً لأنه لا يختلف باختلاف الأمم ، ولا باختلاف الطوائف فى الأمة الواحدة ، بل يختلف باختلاف الأفراد ، فلكل رأى ، ولكل وجهة هو موليها .

وهذا المقياس — الرأى الشخصى — كان محوراً تدور عليه فلسفة « السوفسطائيين » أو محوراً تدور عليه فلسفة « بروتا جوارس » فى القرن الخامس قبل الميلاد .

وقد جاء فهدم للسوفسطائيين هذا « المقياس » أبو الفلاسفة « سقراط » هدمه لهم رأسا على عقب .

بنى « السوفسطائيون » مقياسهم هذا على قاعدتهم المشهورة وهى أنه « ليس هناك شىء اسمه حق فى الخارج » وما دام الأمر كذلك فليس هناك قانون خارجى أخلاقى عام يخضع له الناس جميعاً ، وإنما المسألة ترجع إلى إحساس الشخص نفسه فما تراه حقاً فحق لك ، وما رأيت عمله فاعمله ، ويكون عمله مشروعاً .

ولقد كان من أثر هذا « المقياس » السوفسطائى أن تعرض كل نظام للسقوط وانهدم ما كان للناس من مثل يطمحون إليها سواء فى ذلك « الأخلاق » و « الدين » و « الحقيقة » و « القانون » فقد ذهب كل فرد يفسر الأخلاق على هواه ، ويفسر الدين على هواه ، ويفسر الحقيقة على هواه ، والقانون على هواه حتى انحطت الأخلاق وفسدت المقاييس .

ولقد هدم « سقراط » هذا المقياس بأن وجه الناس إلى أن يدركوا الأشياء بالعقل لا بالحواس وحدها كما كانوا يدركون [1] .

* * *

وإذا كان القانون البشرى لا يصلح أن يكون مقياساً للأخلاق ،

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية للأستاذين : أحمد أمين ، وزكى نجيب محمود .

والعرف لا يصلح كذلك أن يكون مقياساً للأخلاق . والرأى الشخصى لا يصلح كذلك مقياساً فما هو المقياس الذى ينبغى أن تقاس به أعمال الناس . إنه لا شيء إلا ، الإيمان بالله رب العالمين . وسبيل ذلك أن نؤمن بأن الله معنا فى السر والجهر ، وأنه يعلم خبايانا فى ظلمات البر والبحر ، وليس ذلك عزيز على من يبدأ الخلق ثم يعيده .

فالمقياس أن نؤمن بالله .

الله الذى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون .

الله الذى يستطيع أن يجعل الليل عليكم سرمدا إلى يوم القيامة . فمن يأتيكم إذا بضياء ؟ ! ! !

والذى يستطيع أن يجعل كذلك النهار عليكم سرمداً إلى يوم القيامة . فمن يأتيكم إذاً بليل تسكنون فيه ؟ ! ! !

الله الذى عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقه إلا يعلمها ولا حبةٍ فى ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابس إلا فى كتاب مبين .

الله الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون .

الله الذى يُنزل من السماء ماء فيُخرج نبات كل شيء .

الله الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، والذى جعل لكم الشمس ضياء والقمر نوراً ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون .

الله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه .

الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلى الكبير .

«الأيمان بالله» ذلك هو المقياس الذى ينبغى أن توزن به أعمال الناس .

ويوم يرجع العالم إلى الله يومها يصل إلى بر السلامة . والله المستعان .

وخير ما أختم به هذا البحث أن أدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا .

رَبِّ أوقفنى موقف العز حتى لا أجد فِىَّ ذرةً ، ولا رقيقةً ، ولا دقيقةً إلا وقد غشَّاها من عِزِّ عِزّتك ما يمنعها من الذل لغيرك . إنك أنت العزيز الحكيم .

إلهى . نَوِّر قلبى بنـــورك ياذا البسط والجود . فأنت نور السموات والأرض .

سيدى . ألهمنى تحقيق ذوق كلِّ مَذُوق حتى أكونَ مبتهجاً منك وبك إنك لطيف عطوف رحيم رحمن .

اللهم . إنى أقدم هذا مخلصاً لوجهك فنور قلوبنا وأهدنا جميعاً بفضلك صراطك المستقيم . والسلام على من اتبع الهدى .

مصر الجديدة { رمضان سنة ١٣٧٣ — « أبو حازم »
{ مايو سنة ١٩٥٤ — « منصور رجب »

قاموس الأعلام

على ترتيب حروف المعجم

(أ)

آدم سميث : ١٢٥
ابراهيم حلمي : ١٧٥ «ح»
ابراهيم رمزى : ٢٩٦ «ح»
ابن أبى أصيبعه : ٣٩
ابن خلدون : ٩٨ — ١١٤
ابن خلكان : ٢٢٤
ابن سينا : ٥٥
ابن عباس : ١١
ابن عمر : ٧٧ — ٢١٧
أبو الدرداء : ٦٥
أبو العلاء : ٩٦ — ١١٢
أبو القاسم القشيرى : ٢٢٤
أبو بكر محمد بن زكريا الرازى : ٧ — ٨٤
أبو داود : ٢٢٢
أبو هريرة : ٧٨
أبيقور : ٢٣٨
أبى : ٢٧٧
أحمد أمين : ٤٣ «ح» — ٦٣ — ٦٤ — ٢١٣ — «ح» ٣٠٢ «ح»
أحمد عوض الناظر : ٨٦ «ح»
أحمد فهمى العمروسى : ٦٠ — ٨٠ — ١٥٤ — ١٦٥
أحمد لطفى السيد : ١٧ — ١٨ — ٤٣ «ح» ٥٥ — ٦٢ — ٦٣ — ٩٠ — ١٥٦ — ١٧٤ «ح» ٢٤١ — ٢٤٢ — ٢٥٠ «ح»
أدورد هارتمان : ٤٥
آرثر كيت : ١٨٣
أرسطوطاليس : ٦ — ١٨ — ٢٧ — ٣٠ — ٣٤ — ٣٩ — ٤٢ — ٤٥ — ٥٥ — ٦٥ — ٨٤ — ١٠١ — ١٠٦ — ١٧٤ — ٢١٣ — ٢٣٨ — ٢٤٠ — ٢٦٦
اسرائيل : ٢٥٨
اسماعيل مظهر : ١١١ «ح»
أفلاطون : ٩٠ — ٩٤ — ١٠١ — ٢٦٦
أكزنوفنس : ٤٤ «ح»
الأسكندر : ٣٠ — ١٧٤
الجاحظ : ٩٧
الآمدى : ١٩٠

الأشعرى : ١٤
الجرجاني : ٨٣ «ح» ٨٨ — ٨٩ — ٩٢ — ٢٤٤ «ح» ٢٧٨
الحافظ أبو نعيم : ٢٢٣ «ح»
الحطيئة : ٢٧٧
الغزالى : ١٢ — ٢٤ — ٣١ — ٣٧ — ٥٥ — ٢٥٩
السيد أمين الحسينى : ٢٥١ — ٢٥٨
السيد المسيح عليه السلام : ٢٢٣
السهروردى : ٢٢٤
النسائى : ٢٢٢
النيسايورى : ٢٧٨
أميرسون : ١٦٥
أنتستاس : ٢١٠
أنتستين : ٢٦٨
أندره كريسون : ١٢٣
أنس : ٢١٦
أنكسمندر : ٤٠
أنكسمنيس : ٤٠
أوجست فوريل : ١١٥ — ١٣٦
أوجست كونت : ٣٨ — ٦٥ — ١٢٥
أودين بيفان : ٢٠٨ «ح»

(ب)

بارتلمى سانتهلير : ١٨ — ٣٩ — ٥٥
بخنر : ٤٩
بركلى : ٥٠
بروتاجوراس : ٢١٤ — ٣٠٢
بريدة : ٢٢٢
بسكال : ٣٤
بطرس البستانى : ١٧
بكل : ٥٠
بتنام : ٢٠١ — ٢٠٢ — ٢٠٨ — ٢٧٦
بوتاد : ٦١
پول هازار : ٢٢٠ — ٢٢٢
بلاكستون : ٢٨١ — ٢٨٢
بولس الرسول : ٣٠٠
بيكون : ٥٠ — ١٧٧

(ت)

تزوس : ٤٣ — ٤٤
توفيق الطويل : ٤٨ «ح» ٥٤ «ح»
تولستوى : ١٥١
توماس هوبز : ١٥٣
توماس أرنولد : ١٦٥
تيموثاوس : ٣٠٠

(ج)

جالينوس : ٧
جان جاك رسو : ٩٤ — ١٢٥ — ٢٣٠ — ٢٣٢
جاك الثانى ملك انجلترا : ١٥٤
جولتون : ١٢٥
جون لوك : ١٢٥ — ١٢٨ — ١٧٧
ج . ه جويو : ١٠١ — ١٨٩
جون : ١٠
هامرتن : ١٨٤ — ٢٨١
ج . د . برنال : ١٧٥

(ح)

حبيب فارس : ٢٥٢
حازم منصور رجب : ٣٠٤
حافظ عفيفى : ٢٨٦
حذيفة بن اليمان : ١٢
حنا أسعد : ٣٦«ح» — ٩٤«ح»
حكمت هاشم : ١٢٣«ح»

(د)

داود عليه السلام : ١٢
داروين : ٦٠ — ١١١ — ١١٣ — ١١٨ — ١١٩
دوميتان : ١٠٢
ديدور : ٢٣٢
ديكارت : ١٢٧
ديلاج : ١٢٥ — ١٢٨
ديهور : ١١٦
ديوجن : ٢١١ — ٢٦٨ — ٢٦٩

(ر)

راپورت : ٦٣
رسكن : ١٧٤
روبرت بادن باول : ٧٩
ريبو : ١١٢

(ز)

زكى نجيب محمود : ٤٣«ح» — ٢١٣ «ح» — ٣٠٢«ح»
زين العابدين بن على بن الحسين : ٨١ — ٢٢٣ — ٢٢٥
زينون : ١٠١

(س)

سالم بن وابصة : ١١
سبنسر : ١١٨ — ١٢٥ — ١٥٥
سبينوزا : ١٠١

ستورت ميل : ١٢٥ ــ ٢٠٨
سعد زغلول : ١٧
سقراط : ٦ ــ ٧ ــ ٢٢ ــ ٤٤ ــ ٤٥ ــ ٤٧ ــ ٢١٠ ــ ٢١١ ــ ٢١٢ ــ ٢١٣ ــ ٢١٥ ــ ٢٣٩ ــ ٢٣٩ ــ ٣٠٢
سولون : ٣٩
سكيرول : ١١٤
سيدوك : ١١٣
سامى الدوبى : ١٨٩ «ح»

(ش)

شارلس جارفس : ٢٣٣ «ح»
شارل نودان : ١١٢
شوبنهور : ٥٠ ــ ١٢٥
شيشيرون : ٤٧

(ط)

طاليس الملطى : ٤٠ ــ ٤٤
طلحة بن عبيد الله : ٢١٨
طه حسين : ١٧

(ع)

عائشة رضى الله عنها : ٧٩
عبد الرحمن بدوى : ٢٨٧ «ح»
عبد الرحمن بن صخر : ٢٣٧ «ح»
عتبة نائب قريش : ٢٧١
عبد النبى بن عبد الرسول الأحمد نكرى : ٨٧ «ح»
عروة بن الزبير : ١٦٥
عصام منصور رجب : ٢٥٤
عقبة بن عامر : ٧٧
على بن أبى طالب : ١٧٠ ــ ٢١٨ ــ ٢٨٧
على عبد الواحد وافى : ١١٥ ــ ١٣١
عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ٢٥٠

(غ)

غوستاف لوبون : ٢٥٢ ــ ٢٧٩

(ف)

فلانتين بول : ١٢٩
فاليتيان : ١٠٦
فلوطرخس : ٣٩
فولتير : ٤٩ ــ ٢٥٣
فوجيه : ١١٦
فونتيل : ١٢٥
فيثاغورس : ٣٩ ــ ٤٠ ــ ٤١ ــ ٤٢ ــ ٤٤

(ق)

قتادة : ٢١٧

(ك)

كارليل : ٢١

كانت : ٤٩ — ١٨٦ — ٢٢٥ — ٢٤٢ — ٢٧٦

كراوس : ٧

كريسس : ٣٩

كليكليس : ٢٣٦

كنفوشيوس : ١٨٦ — ٢٢٥

(ل)

لامارك : ١١٤ - ١١٦

لوكاس : ١١٤ — ١١٦

ليبنز : ٣٤ — ٤٥ «ح»

ليبتس : ١٠١

ليج : ٥٩

(م)

ماري ستيورت : ١٥٣

متى : ٢٢٣

محمد عبداللطيف دراز : ٢٥٥

محمد عبد العزيز الصدر : ٢٣٣ «ح»

محمد بدران : ١٨٦ «ح»

محمد مصطفى الأفكراني : ٢٥ «ح»

محمود على فضلى : ١٧٥ «ح»

محى الدين بن العربى : ٨٩

معروف الرصافى : ٦٥ — ١٥٧

مكسيم جوركى : ٣٦

مندل : ١١٢

مونتينى : ٢٣٢

(ن)

نقولا الحداد : ١٤٧

نيقوماخوس : ٢٣٨ — ٢٥٠ «ح»

نيتشه : ٦٣ — ٢٣٦

نيرون : ١٠٢

(هـ)

هربارت الألمانى : ٣٣ — ٣٥

هربارت سبنسر : ٣٤ — ٣٥ — ٣٨

هزيود : ٤٤

هوميروس : ٤٣

هويز : ١٧٧

هيرودوت : ٣٩

هيلين كيلر : ٨٣

هيجل : ١١٨

هيلفيتيوس : ١٢٥

(و)

وابصه بن معبد : ٢٠ ــ ٢٣٧
ولف : ٤٥
ولیم جیمس : ٤٩
ول دیورانت : ١٨٦
ویزمان : ١٢٠

(ی)

یحی بن سعید : ٢١٨
یوسف کرم : ٤٤ «ح»

المصادر التى رجعت إليها

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ صحيح البخارى .

٣ ـ تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع .

٤ ـ كتاب الأخلاق لأرسطوطاليس ترجمة أستاذنا الجليل احمد لطفى السيد .

٥ ـ نبراس العقول الذكية شرح الأربعين حديثاً النبوية للأفكرمانى .

٦ ـ تاريخ الفلسفة لحنا أسعد .

٧ ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعه .

٨ ـ مبادئ الفلسفة : تأليف « ا . س . رابو برت » ترجمة الأستاذ احمد أمين

٩ ـ مقدمة الكون والفساد لأرسطوطاليس ترجمة أستاذنا أحمد لطفى السيد .

١٠ـ قصة الفلسفة اليونانية للأستاذين أحمد أمين ، وزكى نجيب محمود .

١١ـ تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم .

١٢ـ أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل .

١٣ـ مبادئ الفلسفة تأليف « أزفلد كوليه » ترجمة « أبو العلا عفيفى » .

١٤ـ تصدير أستاذنا أحمد لطفى السيد لكتاب الأخلاق لأرسطوطاليس .

١٥ـ فى التربية والتعليم للأستاذ أحمد فهمى العمروسى .

١٦ـ المنتخبات لأستاذنا أحمد لطفى السيد .

١٧ـ الأزهر بين الماضى والحاضر للمؤلف .

١٨ـ التعريفات للجرجانى .

١٩ـ الحكمة الخالدة لابن مسكويه تحقيق الأستاذ عبد الرحمن بدوى .

٢٠ـ رسائل « الرازى » تحقيق مستر « كراوس » .

٢١ـ دستور العلماء لابن عبد الرسول الأحمد نكرى .
٢٢ـ مقدمة الأخلاق لأرسطوطاليس ترجمة أستاذنا أحمد لطفى السيد .
٢٣ـ المذاهب الفلسفية لآندره كريسون ترجمة الدكتور حكمت هاشم .
٢٤ـ مناهل الأدب العربى للرصافى ، وللمعرى « لزوميات » .
٢٥ـ الحيوان للجاحظ .
٢٦ـ الأخلاق بلا إلزام أو جزاء للأستاذ «ج. هجوپو» ترجمة الأستاذ سامى الدروبى
٢٧ـ الأسرة والمجتمع للدكتور على عبد الواحد وافى .
٢٨ـ أصل الأنواع لداروين ترجمة الأستاذ اسماعيل مظهر .
٢٩ـ المسألة الجنسية للدكتور « أوجست فوريل » ترجمة دكتور صبرى جرجس.
٣٠ـ الوراثة والبيئة للدكتور على عبد الواحد وافى .
٣١ـ تعريف القدماء بأبى العلاء جمع وتحقيق لجنة من وزارة المعارف بإشراف الدكتور طه حسين .
٣٢ـ علم الاجتماع للأستاذ نقولا الحداد .
٣٣ـ رسالة العلم الاجتماعية للأستاذ « ج . د . برنال » ترجمة الأستاذين ابراهيم حلمى عبد الرحمن ، ومحمود على فضلى.
٣٤ـ علم أدب النفس للأستاذ نقولا الحداد .
٣٥ـ تاريخ العالم نشر السير « جون . ا . هامرتن » مقالة « السير أرثركيت » ترجمة وزارة المعارف .
٣٦ـ قصة الحضارة للأستاذ « ول ديورانت » ترجمة الأستاذ محمد بدران .
٣٧ـ حاشية البنان على جمع الجوامع .
٣٨ـ أصول الشرائع والقوانين « نبتام » ترجمة أحمد فتحى زغلول .
٣٩ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .
٤٠ـ أزمة الضمير الأوربى « بول هازار » ترجمة الأستاذين : جودت عثمان ومحمد نجيب المستكاوى.

٤١ـ حلية الأولياء لأبى نعيم .
٤٢ـ وفيات الأعيان لابن خلكان .
٤٣ـ المشكلة الأخلاقية والفلاسفة تأليف « أندريه كريسون » ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ، والأستاذ أبو بكر ذكرى .
٤٤ـ المرأة والسياسة للكاتب « شارلس جارفس » تعريب « محمد عبد العزيز الصدر » .
٤٥ـ مقدمة كتاب « الأم » للأستاذ « مكسيم جوركى » .
٤٦ـ مكاشفات القلوب للغزالى .
٤٧ـ مقدمة الحضارات الأولى تأليف « غوستاف لوبون » .
٤٨ـ معارج القدس فى معرفة النفس للغزالى .
٤٩ـ المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للغزالى .
٥٠ـ تفسير الفخر الرازى .
٥١ـ تفسير أبو السعود .
٥٢ـ المثل الأعلى فى الأنبياء تأليف « خ . كمال الدين » تعريب أمين محمود الشريف
٥٣ ـ تفسير الطبرى .
٥٤ـ جوامع الكلم لـ « غوستاف لوبون » .
٥٥ـ مشاهداتى فى روسيا للأستاذ أحمد عوض الناظر .
٥٦ـ الانجليز فى بلادهم للدكتور « حافظ عفيفى » .